الـدرس الرابع كتاب الخصائص لابن جني:

1-التعريف بصاحب الكتاب:

هو ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ولد في الموصل ، وبها نشأ، ثم دخل بغداد في سن مبكرة ن لكنه ما لبث إن عاد إلى الموصل ثانية فاخذ يدرس الطلاب في مساجدها،وقد تنقل ابن جني في العراق والشام فأقام مع أستاذه أبي علي الفارسي في بلاط سيف الدولة الحمداني في حلب مدة من الزمن ، وعرف في هذا البلاط الشاعر أبا الطيب المتنبي الذي أعجب به وبشعره. وقد استوطن ابن جني فيها نهاية المطاف، وخلف أستاذه في التدريس ، واستمر في الدرس والتصنيف والتأليف إلى إن توفي سنة392 هـ في خلافة القادر بالله.

شيوخه:

لابن جني عدد كبير من الأساتذة الذين درس عليهم الأدب واللغة والنحو والصرف ومن هؤلاء : أبو صالح السليل بن أحمد بن عيسى بن الشيخ، وأبو إسحاق إبراهيم بن احمد، وأبو الحسين علي بن عمر بن عمرو، وابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن ، وأبو جعفر بن محمد الحجاج، وأبو سهل احمد بن زياد القطان ، وأبو الفرج الأصبهاني، وأبو العباس محمد بن سلمة، وأحمد بن محمد الموصلي ، وأبو بكر محمد ابن الحسن المعروف بابن مقسم، وكان ابن جني يروي عنه أقوال ثعلب.

كانت علاقة ابن جني بالمتنبي علاقة وطيدة حتى عد المتنبي احد أساتذة ابن جني ، وقرأ ديوانه عليه، وقد صحب ابن جني المتنبي دهرا طويلا ومعظم هذه الصحبة كانت في بلاط سيف الدولة الحمداني، وكان يناظره في النحو.

وابن جني هو أول من شرح ديوان المتنبي وكان المتنبي يقول عنه:(ابن جني أعرف بشعري مني، وهذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس).

وعكف على دراسة النحو والتصريف، ولكنه برع في الصرف، وعندما مات شيخه أبو علي الفارسي تصدر مجلسه ببغداد يجري في كتبه ومباحثه على أصول المدرسة البصرية أسوة بأستاذه، وذاع صيته وشهرته في الأدب وعلوم اللغة العربية، وعرف بغزارة علمه وسعة أفقه وفضله وورعه والأخذ عن كافة المدارس العلمية، وتتلمذ عليه وأخذ عنه الثمانيني، وعبد السلام البصري، وأبو الحسن السمسمي، وأبناء أخي الحاكم البويهي.

مؤلفاته:

وعرف ابن جني بغزارة الإنتاج، فأغنى التراث العربي بمجموعة كبيرة من الكتب اللغوية والأدبية النفيسة منها ‘‘التمام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله السكري’’، و’’سر الصناعة’’، و’’تفسير تصريف المازني’’، و’’شرح المقصور والممدود لابن السكيت’’، و’’تعاقب العربية’’، و’’تفسير ديوان المتنبي الكبير’’، و’’تفسير معاني ديوان المتنبي’’ و’’اللمع في العربية’’، و’’مختصر التصريف’’ المشهور

بالتصريف الملوكي، و"مختصر العروض والقوافي"، و"الألفاظ المهموزة"، و"المتقضب"، و"تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب"، و"المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات"، و"تفسير أرجوزة أبي نواس"، و"تفسير العلويات"، وهي أربع قصائد للشريف الرضيّ كل واحدة في مجلد، و"البشرى والظفر"، و"رسالة في مد الأصوات ومقادير المدات"، و"الوقف والابتداء"، و"الفرق"، و"المعاني المجردة"، وغيرها من المصنفات التي أفاض أئمة اللغة وأصحاب التراجم، قديماً وحديثاً، في الثناء عليها، ومدح نهجه في كتابتها فشهدوا له فيها بالاستقصاء وعمق التحليل، وبالتوفر على تدقيق الموضوعات واستيفائها حقها من التتبع والتمحيص والعرض واستنباط المبادئ والأصول من الجزئيات، وأقر له العلماء بالصدارة في كثير من تصانيفهم.

مكانته العليمة :

لابن جني مكانة علمية بارزة فهو القطب في لسان العرب إليه انتهت الرياسة في الأدب.

قال عنه ابن الأنباري: (كان من حذاق أهل الأدب وأعلمهم بعلم النحو والتصريف).

ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاما منه. وقال عنه السيوطي: (وعلمه بالتصريف أقوى وأكمل من علمه بالنحو).

2- كتاب الخصائص:

يُعد أبو الفتح عثمان بن جني (ت 392 هـ) واحدًا من أكبر علماء العربية؛ ألف نحوا من خمسين كتابا في فروع اللغة المختلفة، يحتل كتابه "الخصائص" مكان الصدارة فيها؛ حتى إن ابن جني لا يكاد يذكر إلا مقرونا بكتابه الخصائص كما يقرن سيبويه "بالكتاب".

يمثل "الخصائص" علامة متميزة في تاريخ الدرس اللغوي عند العرب؛ إذ قدم فيه صاحبه منهجا لم يكن معهودا من قبل، وناقش قضايا لغوية لا تزال تمثل عناصر علمية رئيسية في الدرس اللغوي الحديث.

وقد برع ابن جني في اللغة فضلا عن علم النحو والتصريف، وتفوق فيه على سابقيه، فهو الذي أثبت ورسخ كثيرا من النظريات اللغوية التي قال بها القدماء ، وزاد عليهم ، ومن هذه النظريات التي ثبتها ورسخها عي: أن أصل اللغات هو الأصوات المسموعة.

قال: (وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، انما هو من الأصوات المسموعات كدوى الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيج الحمار ، نعيق الغراب ، وصهيل الفرس، ونزيب الظبي، ونحو ذلك ، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ، وهذا عندي وجه صالح ، ومذهب متقبل).

ومن النظريات التي اكتشفها، نظرية تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني"تقارب الألفاظ بتقارب المعاني"، وقد ثبتها ودلل عليها واعترف بعمومها ، وكثرة دوران العرب عليها ، وقد أغفلها السابقون

ولم يقفوا عليها. ومن أشهر نظرياته التي خدمت اللغة العربية ، نظريته في الاشتقاق الأكبر، قال السيوطي: (بأنه لم يقل بها أحد غيره).

كان العلماء يتوفرون في كتبهم على جانب من جوانب اللغة؛ في الصرف أو في النحو أو في المعجم. وجاء ابن جني يشق طريقا جديدة؛ إذ أراد أن يعرض للقضايا العامة في اللغة على "مذهب أصول الكلام والفقه"؛ فجاء كتاب الخصائص مشتملا على رؤى "نظرية" عن اللغة؛ تعريفها، ونشأتها، وتنوعها، ومشتملا كذلك على قضايا "منهجية" عن حجية اللغة وطريقة جمعها وتصنيفها، وعن القياس، والسماع، والاستحسان، والتعليل، والأصلية والفرعية.ويشتمل على مستويات التحليل اللغوي؛ الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية.

على أن دراسة الدلالة عنده قد تكون أوسع دراسة في كتب اللغة حتى القرن الرابع، نجده يتوفر فيها على جوانب صارت تكوّن عناصر مهمة في معرفة "المعنى" عند القدماء كالاشتقاق الأكبر، والحقيقة والمجاز، وتصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني، وغير ذلك مما يكاد يكون منسوبا إلى ابن جني في الخصائص.

ولا يزال الكتاب موضوعا لعدد غير قليل من البحوث في الجامعات العربية والأوروبية مما يكشف عن أهميته في تاريخ الدرس اللغوي في العالم القديم بشكل عام...

ويغلب على مباحِث ابن جني في كتابه الخصائص طابَعُ الاستِقصاء والغوص في التفاصيل، والتعمُّق في التحليل، واستِنباط المبادئ والأصول مِن الجزئيات، .

ومِن مَباحثه التي اهتدى لها، وسَبَق بها، الاشتقاقُ الأكبر، وإن كان قد استمدَّ فكرتَه مِن أستاذه أبي علي، وهو مع حرصه على اتِّباع مَن سبَقه من الأئمة العلماء، وتبجيله لهم - لا يُبالي أن يُخالفهم إذا تهدَّى لرأي لم يقولوا به، واستوى له دليله، واستقرَّت عنده حُجَّتُه.

واشتهر أسلوب ابن جني في الخصائص ببلاغة العبارة، وحُسْن تصريف الكلام، والإبانة عن المعاني بأحسن وجوه الأداء، وهو يَسمو في عبارته، ويَبلُغ بها ذِروة الفَصاحة في المسائل العلميَّة الجافَّة، البَعيدة عن الخيال ووجوه التطريَة، وله في عباراته وجوه في استعمال بعض المُفردات يُدوّنها اللغويون، ويُنوّهون بها، كما يُدوّنون ما يَصدُر عن العرب ثقةً بطبيعته العربية، وسجيته اللغوية، على أنه قد تندُّ منه بعض الهنات الكلامية التي لا تَتلم البلاغة، ولا تغضُّ مِن شأوِه، وفَراهة أسلوبه.

نشر الجزء الأول من الكتاب في مطبعة الهلال 1913 م، ثم حققه الأستاذ محمد علي النجار تحقيقا ممتازا أصدرته دار الكتب المصرية في ثلاثة أجزاء (1952 - 1955)، وهي النسخة التي تصدر مصورة عن بعض دور النشر اللبنانية [وتصدر كذلك مصورة عن دور نشر أخرى غير لبنانية].

للاطلاع والاستزادة أكثر ينظر:

تنظر ترجمته في:

«تاريخ بغداد» للخطيب البغدادي (١١/ ٣١١)، «اللباب» لابن الأثير (١/ ٢٩٩)، «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٢٤٦)، «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ١٧)، «دول الإسلام» كلاهما للذهبي (١/ ٢٣٦)، «مرآة الجنان» لليافعي (٢/ ٤٤٥)، «البداية والنهاية» لابن كثير (١١/ ٣٣١)، «بغية الوعاة» للسيوطي (٣٢٢)، «معجم الأدباء» للحموي (١٢/ ٨١)، «شذرات الذهب» لابن العماد (٣/ ١٤٠)

ابن جني:الخصائص

موقع المكتبة الشاملة على الشابكة

فاضل السامرائي: ابن جني النحوي

عبده الراجحي: فقه اللغة في الكتب العربية